للخسارة وقت

قال سليمان الحكيم في سفر الجامعة أن "لكل شيء زمان ولكل أمر تحت السماوات وقت" (جا٣:١) ثم سرد قائمة بأربعة عشر أمراً وعكسها يكون لها وقت. ومن ضمن ما ذكره في تلك القائمة: "للخسارة وقت" (جا٣:٦).

قبول الخسارة هو في الواقع أمر ضد طبيعة الإنسان العتيق الذي يخشى أكثر ما يخشى الخسارة ويسعى بكل قوته للكسب. لكن كل الذين ساروا على دروب الروح تعلموا جيداً أن الخسارة هي جزء لا يتجزأ من الطريق وأن درجة امتلاءهم بالروح القدس مرهونة بدرجة قبولهم للخسارة. والخسارة لا ترتبط فقط ببداية الطريق ولكنها صليب موضوع للمجاهد كل يوم وإماتة كل النهار. فلا يتصورن أحد أن تكلفة السير وراء المسيح هي تكلفة مرة واحدة تدفع في بداية المسيرة فقط ثم بعد ذلك يتمتع المرء بالمكسب المطلق دون خسارة. في الواقع العكس هو الصحيح، فكلما تقدم المرء على الطريق الروحي كلما تعامل معه الروح القدس بأكثر حزماً من جهة وجوبية الترك والخسارة لصالح تحرير النفس من جهة كل تعلق غريب.

قبول الخسارة هو حقاً منهج حياة يومي. إنه استعداد داخلي للانسلاخ عن كل تعلقات القلب بأي شخص وأي شيء إذ أن وقت الخسارة الذي تكلم عنه سليمان حاضر له في كل حين. فبولس الرسول الذي تهلل بفرح قائلاً: "لكن ما كان لي ربحاً فهذا قد حسبته من أجل المسيح خسارة. بل إني أحسب كل شيء أيضاً خسارة من أجل فضل معرفة المسيح يسوع ربي، الذي من أجله خسرت كل الأشياء وأنا أحسبها نفاية لكي أربح المسيح وأوجد فيه" (في٣: ٧-٩) وضع لنا تعريفاً واضحاً لمبدأ الربح والخسارة في قوانين تجارة الملكوت. فالربح الحقيقي الذي يُحسب كل شيء بجانبه خسارة هو اقتناء المسيح ذاته الذي هو وحده اللؤلؤة الكثيرة الثمن التي تستحق أن يمضي المرء ويبيع كل ما له لكي يقتنيها.

فكل من يختار بإرادته أن يخسر كرامة، أو مالاً، أو أهلاً، أو أصدقاءً، أو وطناً، أو مسكناً، أو وظيفة، أو حقوقاً، أو صحة، أو راحة، أو أماناً، أو تنعماً، أو رفاهية، أو عيناً ورجلاً يمنى تعثره، أو رأياً شخصياً، أو حواراً، أو منهجاً فكرياً هو في الحقيقة تاجر حكيم قد أيقن بحق أنه لا ينتفع شيئاً لو ربح العالم كله وخسر نفسه وخسر الملكوت. إنه لا يحزن على شيء البتة "ولا يخشى من خبر السوء" (مز١١٢:٧). لأن الذي باع كل شيء لا يحزن على فقدان ما قد باعه بالفعل.

فالمجد كل المجد لقيامة المسيح التي نحتفل بها في تلك الأيام المقدسة والتي قلبت كل المعايير والموازين. فمنذ صار الموت ربحاً (في١:٢١) بفعل القيامة صارت كل حياة خارجة عن قوانين المحبة والبذل هي خسارة ما بعدها خسارة، وصار الرابح خسراناً والخسران رابحاً طالما أنه ليس بكيل يعطي الله الروح لمساكين وفقراء الروح.